فلسفة الإمام أبي الحسن العامري

في بيان مناقب الإسلام

"رؤية منهجية"

إعداد

د/ مصطفى محمد يحي عبده

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الأول ٢٠١٩م

فلسفة الإمام أبي الحسن العامري في بيان مناقب الإسلام "رؤية منهجية"

د/ مصطفى محمد يحي عبده
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

ملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

{سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[١]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين وبعد،،،،،،،

رأى فلاسفة الإسلام أن العقل هبة من الله تعالى كرم به الإنسان، والدين وحي من الله تعالى أوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس ويخاطبهم به ويحثهم على النظر والتفكر فيه، ومن ثم قبوله والإذعان له، قال تعالى: { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}[٢] .

وكان ذلك دافعا للفلاسفة الذين اشتغلوا بالتوفيق أن يقولوا ما جاءت به الشريعة حق، وما توصلت إليه الحكمة حق والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له[٣].

وهذا الجهد الذي بذله فلاسفة الإسلام في التوفيق بين الحكمة والشريعة إنما يخدم أمرين: فهو يعزز الثقة في العقل الإنساني ويؤكد قدرته على الوصول إلى الحقيقة، كما يخدم في نفس الوقت الجانب الديني والحقائق التي جاء بها الدين، وبذلك يدحض شبهات أولئك الذين يطعنون في الإسلام بأنه جاء بأمور غير معقولة أو خارجة عن حدود العقل.

ومن هذا الملحظ اجتهد الفيلسوف أبو الحسن العامري ت ٣٨١ هـ في إبراز فضائل ومناقب الإسلام، ونحن نتناول في هذا البحث فلسفته في هذه القضية برؤية منهجية تركز في الأغلب على منهجه الذي اتبعه في ذلك.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم: ٣٢.

(٢) سورة ص الآية رقم: ٢٩.

(٣) فصل المقال لابن رشد ت د. محمد عمارة ص: ٣١،٣٢.

فقد بدأ الإمام دراسته لهذه المسألة بتحديد هدف ألا وهو بيان فضيلة الإسلام بالنسبة لسائر الأديان، ومهد لذلك بتصنيف العلوم إلى ملية وحكمية، ثم وفق بينهما، ثم بيَّن أفضلية العلوم الملية على العلوم الحكمية.

تميزت فلسفة العامري وهو بصدد دراسة هذه المسألة بالنظرة التكاملية للعلوم سواء تلك المنتسبة إلى الحكمة أو المنتسبة إلى الملة، حيث رأى إنها تتكامل لتحقق الهدف العام منها، وبالتالي فقد رد العامري على أرباب بعض العلوم الذين طعنوا في علوم أخر وقللوا من أهميتها.

وختم العامري جهده في هذه القضية بالرد على الشبهات التي تثار ضد الإسلام وكانت له منهجيته في تحليل هذه الشبهات وتفنيدها بما يتناسب مع كونه فيلسوفا.

لذلك رأيت بحث هذا الجانب من فلسفة أبي الحسن العامري، بحثا منهجياً بمعنى أن نركز على منهج العامري سواء في تصنيفه للعلوم أو بيانه لفضائل الإسلام أو في رده على الشبهات التي تثار ضد الإسلام.

مكونات البحث :

- **المقدمة.**
- **المبحث الأول** : منهجية أبي الحسن العامري في تصنيف العلوم.
- **المبحث الثاني** : منهجية الإمام أبي الحسن العامري في بيان مناقب الإسلام.
- **المبحث الثالث** : منهجية أبي الحسن العامري في رد الشبهات التي تثار ضد الإسلام.
- **الخاتمة** : وفيها أهم نتائج البحث – التوصيات.
- **الكلمات المفتاحية: أبو الحسن العامري – التوفيق بين الحكمة والشريعة – العلوم الحكمية – العلوم الملية – فضائل الإسلام – الشبهات – النظرة التكاملية**

Email/ dr.mosmmy2012Abdou@yahoo.com

Abstract

The Philosophy of Imam Abi Hassan Al Ameri In the statement of the preachers of Islam "Methodological Vision"

preparation BY.

Dr. Mustafa Mohamed Yahia Abdo

Professor of Creed and Assistant Philosophy

Department of Creed and Philosophy

Al Azhar university

Faculty of the fundamentals of religion and advocacy in Zagazig

Introduction

In the name of Allah, the Entirely Merciful, the Especially Merciful.

They said, "Exalted are You; we have no knowledge except what You have taught us. Indeed, it is You who is the Knowing, the Wise."

[All] praise is [due] to Allah, Lord of the worlds - Peace and blessings be upon the Messenger of Allah Muhammad the Seal of the Prophets, and the mercy of God to the worlds .....and after

The philosophers of Islam saw that the mind is a gift from God Almighty, and the religion inspired by God inspired him to His Messenger peace be upon him to inform people and address them and urges them to consider and think about it, and then accept and obey him،

Allah says [This is] a blessed Book which We have revealed to you, [O Muhammad], that they might reflect upon its verses and that those of understanding would be reminded.

This was an incentive for the philosophers who worked with success to say what the Shari'a had come to, and what wisdom has reached is true and the right does not contradict the truth, but rather approves it and testifies to it.

This effort by the philosophers of Islam to reconcile wisdom and Shari'a serves two things: it enhances trust in the human mind and affirms its ability to reach the truth, while at the same time serving the religious side and the realities of religion, thereby refuting the suspicions of those who challenge Islam Came in unreasonable or beyond the limits of reason.

From this point of view, the philosopher Abulhassan Al-Amiri strove to clarify the virtues and virtues of Islam. In this research, we deal with his philosophy in this case with a systematic vision, which focuses mostly on his approach.

Imam began his study of this issue by defining the goal of the statement of the virtue of Islam for all other religions, and thus the classification of science to Mullah and governance, and then according to them, and then between the superiority of science on the science of governance.

Al-Amiri's philosophy was to study this issue with the complementary view of science, whether it is related to wisdom or belonging to the religion, which he considered to be integrated to achieve the general goal. Al-Amiri

responded to the heads of some sciences who challenged other sciences and played down their importance.

Al-Amiri concluded his efforts in this case to respond to the suspicions raised against Islam and had his methodology in analyzing these suspicions and refuting them in proportion to being a philosopher.

So I saw this aspect of the philosophy of Abi Hassan al-Amiri, a systematic research in the sense that we focus on the approach of Amiri, whether in the classification of science or his statement of the virtues of Islam or in response to the suspicions raised against Islam.

search contents

Introduction.

The first topic: the methodology of Abi Hassan Ameri in the classification of science.

The second topic: Methodology of Imam Abi Hassan al-Amiri in the statement of the Feature of Islam.

The third topic: Method of Abi Hassan al-Amiri in response to suspicions raised against Islam.

Conclusion: The main findings of the research - recommendations.

Keywords: Abulhasan Al Ameri - Reconciling Wisdom and Shariah - Shariah Sciences - Islamic Sciences - Virtues of Islam - accusation - Integrative Perspective

Email/ dr.mosmmy2012Abdou@yahoo.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

{سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[١]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين وبعد،،،،،،،

رأى فلاسفة الإسلام أن العقل هبة من الله تعالى كرم به الإنسان، والدين وحي من الله تعالى أوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس ويخاطبهم به ويحثهم على النظر والتفكر فيه، ومن ثم قبوله والإذعان له، قال تعالى: { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}[٢] .

وكان ذلك دافعا للفلاسفة الذين اشتغلوا بالتوفيق أن يقولوا ما جاءت به الشريعة حق، وما توصلت إليه الحكمة حق والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له[٣].

وهذا الجهد الذي بذله فلاسفة الإسلام في التوفيق بين الحكمة والشريعة إنما يخدم أمرين: فهو يعزز الثقة في العقل الإنساني ويؤكد قدرته على الوصول إلى الحقيقة، كما يخدم في نفس الوقت الجانب الديني والحقائق التي جاء بها الدين، وبذلك يدحض شبهات أولئك الذين يطعنون في الإسلام بأنه جاء بأمور غير معقولة أو خارجة عن حدود العقل.

ومن هذا الملحظ اجتهد الفيلسوف أبو الحسن العامري ت ٣٨١ هـ في إبراز فضائل ومناقب الإسلام، ونحن نتناول في هذا البحث فلسفته في هذه القضية برؤية منهجية تركز في الأغلب على منهجه الذي اتبعه في ذلك.

---

(١) سورة البقرة الآية رقم: ٣٢.

(٢) سورة ص الآية رقم: ٢٩.

(٣) فصل المقال لابن رشد ت د. محمد عمارة ص: ٣١،٣٢.

فقد بدأ الإمام دراسته لهذه المسألة بتحديد هدف ألا وهو بيان فضيلة الإسلام بالنسبة لسائر الأديان، ومهد لذلك بتصنيف العلوم إلى ملية وحكمية، ثم وفق بينهما، ثم بيَّن أفضلية العلوم الملية على العلوم الحكمية.

تميزت فلسفة العامري وهو بصدد دراسة هذه المسألة بالنظرة التكاملية للعلوم سواء تلك المنتسبة إلى الحكمة أو المنتسبة إلى الملة، حيث رأى إنها تتكامل لتحقق الهدف العام منها، وبالتالي فقد رد العامري على أرباب بعض العلوم الذين طعنوا في علوم أخر وقللوا من أهميتها.

وختم العامري جهده في هذه القضية بالرد على الشبهات التي تثار ضد الإسلام وكانت له منهجيته في تحليل هذه الشبهات وتفنيدها بما يتناسب مع كونه فيلسوفا.

لذلك رأيت بحث هذا الجانب من فلسفة أبي الحسن العامري، بحثا منهجياً بمعنى أن نركز على منهج العامري سواء في تصنيفه للعلوم أو بيانه لفضائل الإسلام أو في رده على الشبهات التي تثار ضد الإسلام.

مكونات البحث :

- **المقدمة.**
- **المبحث الأول :** منهجية أبي الحسن العامري في تصنيف العلوم.
- **المبحث الثاني :** منهجية الإمام أبي الحسن العامري في بيان مناقب الإسلام.
- **المبحث الثالث :** منهجية أبي الحسن العامري في رد الشبهات التي تثار ضد الإسلام.
- **الخاتمة :** وفيها أهم نتائج البحث – التوصيات.
- **الكلمات المفتاحية: أبو الحسن العامري – التوفيق بين الحكمة والشريعة – العلوم الحكمية – العلوم الملية – فضائل الإسلام – الشبهات – النظرة التكاملية**

التعريف بالعامري

ويشتمل على:

اسمه – مولده– نشأته– رحلاته العلمية– أساتذته– مؤلفاته – منهجه

اسمه:

هو أبو الحسن محمد بن أبي ذر يوسف العامري النيسابوري، عده الشهرستاني[١] في مصاف فلاسفة الإسلام المتأخرين في القرن الرابع الهجري، وعده أبو حيان التوحيدي في المقابسات من أعلام عصره.[٢] ويقول عنه صاحب كتاب الأعلام: " عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية، من أهل خراسان، أقام بالرى خمس سنين، واتصل بابن العميد (الوزير الكاتب) فقرآ معا عدة كتب، وأقام ببغداد مدة، وعاد إلى بلده، له شروح على كتب أرسطو"[٣].

مولده ونشأته:

ولد العامري بمدينة نيسابور مطلع القرن الرابع الهجري على الأرجح، وقضى حياة حافلة بالعلم والتدريس، والتأليف والترحال العلمي بين حواضر العالم الإسلامي الثقافية الكبرى آنذاك، حيث رحل إلى بغداد، والري، وبخارى، ثم عاد إلى مسقط رأسه نيسابور وتوفي بها يوم السابع والعشرين من شوال عام ٣٨١هـ[٤].

الانتماء الفكري للعامري:

ينتمي العامري فكريا وفلسفيا إلى مدرسة فيلسوف الإسلام أبي إسحاق الكندي، {ت٢٦٠هـ} ولا غرو في ذلك فقد كان العامري تلميذا للفيلسوف

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١٥٧/٢.
(٢) المقابسات لأبي حيان التوحيدي ص: ١٦٥.
(٣) الأعلام للزركلي ج١٤٨/٧.
(٤) مقدمة كتاب الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري تحقيق د/ أحمد عبد الحميد غراب طبع دار الأصالة للنشر والإعلام – الرياض– الطبعة الأولى ١٩٨٨م ص:٨.

أبي زيد أحمد بن سهل البلخي {ت٣٢٣هـ} وكان البلخي بدوره تلميذا للكندي[١]

ويعد الكندي من أبرز من اشتهر بالفلسفة في تاريخ الفكر الإسلامي، وكان يسمى فيلسوف العرب أو فيلسوف الإسلام، يقول عنه صاحب الفهرست: " فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ويسمى فيلسوف العرب وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب".[٢]

والنقطة البارزة في فلسفة الكندي هي أنه جمع ثقافات متعددة من اليونانية وغيرها، ودمجها في النسيج الإسلامي فاستولدها فلسفة عربية إسلامية أصيلة تعبر عن عصرها وبيئتها [٣] وعلى نفس المنهج سار البلخي تلميذ الكندي.

ومن منهج الاثنين نبع فيلسوفنا أبو الحسن العامري، حيث تشكلت ثقافته من علوم شتى، ومعارف متعددة إلا أن الصبغة العامة لهذا الفيلسوف ظلت صبغة إسلامية، تتسم بالشمول والانفتاح على الثقافات الأخرى، فجمع ما كان يعرف في عصره من علوم دينية تقوم على الوحي، وعلوم فلسفية تقوم على العقل وكان له منهج في التوفيق بين الحكمة والشريعة سنقف عليه خلال هذا البحث.

لذا كان العامري أحد أعلام عصره في العلم والفكر، تأثر به أبو حيان التوحيدي فنقل كثيرا من كلماته في المقابسات، وابن مسكويه في كتابه الحكمة الخالدة.[٤]

(١) السابق نفس الصفحة.
(٢) الفهرست لابن النديم ص: ٣٥٧.
(٣) الكندي فلسفته – منتخبات د. محمد عبد الرحمن مرحبا منشورات عويدات – بيروت– ص: ٥،٦.
(٤) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٨، ٩.

مؤلفات الإمام أبي الحسن العامري

من الأمور الحسنة ما فعله أبو الحسن العامري في كتبه الأمد على الأبد وهو أنه ذكر هناك قائمة بمؤلفاته وذلك على حيث يقول فإن الله جل جلاله لما وفقني لتصنيف الكتب المفتنة في إيضاح المعاني العقلية، قصدا لمعونة ذوي الألباب على تقرير المعالم النظرية ويسر لي التأليف في :

- الإبانة عن علل الديانة.
- الإعلام بمناقب الإسلام.
- الإرشاد لتصحيح الاعتقاد.
- النسك العقلي والتصوف الملي.
- الإتمام لفضائل الإنعام.
- التقرير لأوجه التقدير.
- إنقاذ البشر من الجب والقدر.
- الفصول البرهاني للمباحث النفساني.
- فصول التأدب وأصول التحبب.
- الإبشار والإشجار.
- الإفصاح والإيضاح.
- العناية والدراية.
- الأبحاث عن الأحداث.
- استفتاح النظر.
- الإبصار والمبصر.
- تحصيل السلامة من الحصر والأسر.
- التبصير لأوجه التعبير.
- الأمد على الأبد.[١]

(١) انظر كتاب الأمد على الأبد لأبي الحسن العامري صححه وقدم له { أورت .ك. روسن } الطبعة الأولى ١٩٧٩م بيروت دار الكندي. ص: ٥٥، ٥٦.

ومن خلال قائمة المؤلفات هذه نرى إننا أمام شخصية موسوعية عالجت موضوعات فكرية وعلمية متعددة، وبتدقيق النظر نجد أنها تعالج موضوعات كانت ولا تزال تحتفظ بأهميتها البالغة حتى في عصرنا الحاضر وخاصة مسائل الجبر والقدر، ومسائل البعث، ومسألة بيان مناقب الإسلام.

المبحث الأول

منهجية أبي الحسن العامري في تصنيف العلوم

- تصنيف العلوم إلى الحكمية والملية.
- العلاقة بينهما.
- ثمرة كل قسم منها.
- التفاضل بين العلوم.
- النظر في أحوال العلوم الملية بحسب كميتها وكيفيتها.
- رد الطعون الواردة من أصحاب كل علم على الآخر.

تصنيف العلوم إلى حكمية وملية

يبدأ العامري بحثه في تصنيف العلوم بالبحث فيما زود به الإنسان من قوة نظرية وقوة عملية ومدى الترابط بنيهما، ويحدد الغاية من العقل الإنساني في سيره نحو المعرفة فيقول: هي "أن يعرف الحق ويعمل بما يوافق الحق"[(١)] ويحدد العامري العلم بأنه: "الإحاطة بالشيء على ما هو عليه من غير خطأ ولا زلل".[(٢)]

وينبه العامري إلى مدى الترابط بين قوتي الإنسان النظرية والعملية، ومدى العلاقة بين جانب العلم وجانب العمل بحيث لا يكتفى بأحدهما عن الآخر، فيقول: " أكمل الناس أغزرهم عرفانا للحق، وأقدرهم على العمل بما يوافق الحق" [(٣)]

ولذا فإنه يوجه نقده لطائفة من الباطنية ادعوا أن المبرز في العلوم لن يلزمه شيء من القيام بوظائف العبودية، وأن العاقل منا ليس يلزمه اقتباس

(١) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٧٣..
(٢) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٨٠.
(٣) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٧٣.

العلم ليتوصل به إلى الأعمال الصالحة، بل يلزمه ذلك ليسلم من وحشة الجهالة فإنها في ذاتها قبيحة مظلمة كما إن ضدها في نفسه حسن ملذ.(١)

ويفند العامري هذا الاتجاه، فيقرر أن : العلم مبدأ للعمل والعمل تمام للعلم، ولا يرغب في العلوم الفاضلة إلا لأجل الأعمال الصالحة.(٢)

ويضيف العامري مؤكدا إنه لو كانت الجبلة البشرية مقصورة على تحصيل العلم دون تقويم العمل، لكانت القوة العملية إما فضلا زائدا، وإما تبعا عارضا، ولو أنها كانت كذلك لما كان عدمها ليخل في عمارة البلاد وسياسة العباد.

بل إن توهم مثل هذا ليؤدي إلى تفويض الأعمال الصالحة بأسرها إلى ذوي الجهل والغباوة، ولو جعل الأمر كذلك لوجدت الطبيعة الإنسية عند إقامتها الأعمال الصالحة مستغنية عن العلوم الحقيقية.(٣)

تصنيف العلوم إلى: ملية وحكمية:

يصنف العامري العلوم باعتبار مصدرها ووسيلة تحصيلها إلى علوم ملية تستمد من الوحي الإلهي، وأربابها هم الأنبياء المصطفون، وعلوم حكمية تستمد من العقل وأربابها هم المرتضون من الحكماء، ويقرر كذلك إن كل نبي حكيم، وليس كل حكيم نبيا.(٤)

أقسام العلوم الملية:

ويبحث العامري في العلوم الملية المنتسبة إلى الملة التي بعث بها الأنبياء فيجد أن هذه العلوم تفتن أو تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- علوم حسية وهي صناعة المحدثين.
- علوم قلية وهي صناعة المتكلمين.

(١) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٧٤.
(٢) السابق ص: ٧٥.
(٣) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٧٤،٧٥.
(٤) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٨٠.

- علوم مشتركة بين الحس والعقل وهي صناعة الفقهاء.
- صناعة اللغة وهي تنزل منزلة الآلة بالنسبة للصناعات الثلاث المذكورة.

أقسام العلوم الحكمية:

وكذلك العلوم الحكمية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- علوم حسية وهي صناعة الطبيعيين.
- علوم عقلية وهي صناعة الإلهيين.
- علوم مشتركة بين الحس والعقل وهي صناعة الرياضيين.
- ثم يأتي دور المنطق وهو بمنزلة الآلة للعلوم الثلاث المذكورة.[١]

العلاقة بين قسمي العلوم {الملية والحكمية}

لا نبالغ إذا قلنا إن فلاسفة الإسلام كلهم قد شغلوا ببيان العلاقة بين الحكمة والشريعة، أو بين الوحي والعقل، وكان ذلك لزاما عليهم – إن جاز التعبير– لأنهم درسوا الإسلام وحصلوا علومه فهداهم إلى معرفة الحق، ثم درسوا الفلسفة الوافدة عن طريق الترجمة، وخاصة الفلسفة اليونانية، فوجدوا أن هؤلاء الفلاسفة قد وصلوا إلى الحق أيضا من غير طريق الوحي، فكان ذلك دافعا لهم أن يقوموا بعمل يتم بمقتضاه التوفيق بين الحكمة والشريعة، بعد قناعتهم أن كلا منهما قد أوصل إلى الحق، فمحال أن يكون ثمة بينهما تعارض أو عناد.

ونحو هذا الهدف واستجابة لهذا الدافع انطلق فيلسوفنا أبو الحسن العامري ببحث هذه العلاقة، وقد بدأ العامري تحقيق هذه المسألة بإرساء قواعد عدة تتبين منها نظريته في التوفيق ويمكن لنا إجمال هذه القواعد فيما يلي:

- إن الله تعالى قد خلق العباد محبين إلى العلم بحسب فطرتهم، ثم كانت الجبلة الإنسانية بحيث لا تقوى على تحصيل جميع أقسام العلم، فمن أجل ذلك جعل الله بين طباع البشر وبين أصناف العلم علامة خفية ومناسبة

(١) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ٨١.

ذاتية، بحيث ينجذب كل واحد إلى نوع من العلوم فيتأكد إلفه له ويقوى شغفه به فيختصه من قبله بشدة المحبة ويفضله على غيره.

- على العاقل قبل أن يرتضي علما أو يرفضه أن يقرر أن الوقوف على ما يحصل لنا النفع من كل فن منها يصير عونا لنا حسن الاختيار فيها.
- يبطل العامري كلام من يقول بأن العلوم الحكمية مضادة للعلوم الملية وإن من مال إليها فقد خسر الدنيا والآخرة، فليس الأمر كما ظن هؤلاء لأن العلوم الحكمية كما يرى العامري توجد أصولها وفروعها موافقة للعقل الصريح ومؤيدة بالبرهان الصحيح حسب ما توجد العلوم الملية ومعلوم أن الذي حققه البرهان وأوجبه العقل لن يكون بينه وبين ما يوجبه الدين مدافعة ولا عناد.
- من تمكن من ضبط العلوم الحكمية فإنه يكون قد استسعد من نفسه بأمور ثلاث: استكمال الفضيلة الإنسانية باستيلائه على حقائق الموجودات – الخلوص إلى مواقع الحكمة فيما أنشاه الصانع تعالى – إقامة البرهان على الدعوى المسموعة والتخلص من التقليد.
- إذا كانت العلوم الحكمية هي متطلبات النظر العقلي، واستخدام القياس العقلي، فإن العلوم الملية كذلك حثت بل أوجبت النظر العقلي في المخلوقات للوصول إلى العلم الحقيقي حتى إن الله تعالى قد ذم قوما رضوا لأنفسهم منزلة أقل من النظر، فقال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى }(١)، ومدح أقواما سعدوا بمثل هذه المنقبة فقال: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ }(٢) .

(١) سورة الرم الآية رقم:٨.
(٢) سورة آل عمران الآية رقم:١٩١.

- يستشهد العامري بالقسم الإلهي من العلوم الحكمية فيبين أن هذا القسم لا يدرك شيء من أغراضه إلا بقوة العقل المجرد، وهو ما يسمى لبا، وهي صناعة مجردة للبحث عن الأسباب الأولية لحدوث الكائنات، ثم التحقق للأول الفرد الحق الذي هو النهاية في كل ما يقصد إليه بالإجلال على السبيل المبرأ من المرية، وليس من شك أن الفوز بهذه الغبطة هو المنيل للسعادة الأبدية، وقد يصعب الارتقاء إليه إلا بعد أن نجعل المعلومات الأخر ذريعة لنا إلى تحصيله، ومن ثم كان الأولون كما يقول – العامري– لا يسمون أحدا من الناس حكيما إلا إذا فاز بهذه المعرفة، وإذا كان هذا هو ثمرة العلوم الإلهية من العلوم الحكمية فمحال أن يكون بينها وبين العلوم الملية عناد أو مضادة.(١)
- يعرض العامري موقف طائفة من الناس حملهم المجون والخلاعة على استثقال وظائف العبادات فزعموا أن ليس تحت علم الأديان علم يقتضي العقل إيثاره، والاعتداد به فما هي إلا مثل شرعية وأوضاع اصطلاحية تأخذ كل ملة منها حظا تنتفع به في إقامة معاشها ودفع أسباب العيث عن أنفسها، ولو كان لها حقيقة لاستغني فيها عن التوقيف ولنيط أمرها بالعقل.(٢)
- يرد العامري هذا الكلام بأنه لن يميل إليه إلا أحد رجلين، إما رجل ضعفت همته عن إعطاء البحث حقه فيرجع في اعتقاده إلى حيرة وارتياب، وإما رجل أطلق نفسه لما تشتهيه اللذات العاجلة وليس يهتم بما تئول إليه الأمور في العاقبة.(٣)
- أما القول بأن العلوم الدينية كلها مثل شرعية فهي مقدمة كاذبة لأن الأركان الأول للأديان اعتقادات–عبادات – معاملات – مزاجر، وأيضا فإن

(١) الإعلام ص: ٨٩.
(٢) الإعلام ص: ٩٧.
(٣) الإعلام ص: ٩٨.

مائياتها عقلية فلن يجوز ارتفاعها ما دام العالم السفلي معمورا بالجبلة الإنسية.(١)

- ويريد العامري من خلال هذا الكلام أن يقول إن مائيات الأديان عقلية بمعنى إنها مقررة في العقل، لأنه لا يتصور للعقل أن يطلق ترك تعبد المولى، ولن يتصور للعقل أن يطلق لذويه ترك معاملة الناس لبعضهم بالحسنى، وهكذا، وما ليس يتصور أن يطلقه العقل فهو يوجب إثباته وربطه.
- وما دام العقل المجرد يثبت أحقية العلوم الملية بهذه الصورة، فينبغي الإقرار بأن عقولنا الجزئية تقصر عن معرفة كيفياتها وكمياتها، وخصوصا إذا كانت المصالح في هيئاتها ومقاديرها تتغير بحسب تغير طباع القرون، فيحوجنا الضعف العقلي إلى من له الخلق والأمر.
- تتجلى الحاجة إلى العلوم الملية إذا عرفنا أن الأشياء بالنسبة للعقل تنقسم إلى موجب بالعقل – مجوز في العقل – مدفوع بالعقل، فكل ما أوجب العقل فملتزم القبول، وكل ما دفعه العقل فمطرح مرزول، وكل ما جوزه العقل فحكمه موقوف إلى أن يوجد له في المعقولات ما يستدعيه إلى نفسه إما إيجابا، وإما إسقاطا.
- يمثل العامري لذلك بأن صيانة الولد لوالده من التهلكة واجب في العقل، والجاؤه إلى التهلكة مدفوع عند العقل، والقيام بين يديه للإكرام جائز في العقل ثم إن أمره الوالد بالقيام بين يديه، أو التنحي يصير واجبا عليه، فقد صار الجائز في العقل ملحقا بأحد طرفيه لا بذاته ولكن بواسطة الأمر به.(٢)

ينتهي العامري إلى القول بأن العبيد كلهم يتصرفون في خدمة مولاهم إما بالقسم العقلي وهو راجع إلى مكارم الأخلاق، وبه يكتسب الحمد، وإما بالقسم الملي، وهو راجع إلى وظائف الأمر وبه يستحق الثواب، بل إذا حققنا

(١) الإعلام ص: ٩٨.
(٢) الإعلام ص: ١٠٠.

فإنه لولا القسم الملي لما ظهر الخليع من المطيع إذ أن القسم العقلي يتعاطى لا لإظهار الطاعة بل لاكتساب الثناء، كما ظهر أن العقل إنما يضطر في المعاني الجائزة إلى انتظار ورود الأمر بها لعجزه عن إدراك الحقائق كلها بذاتها واحتياجه في كثير منها إلى مواد من خارج.(١)

منهجية العامري في بيان التفاضل بين العلوم الملية والعلوم الحكمية:

يقرر العامري أن العلوم في ذواتها كثيرة، وهي مع كثرتها متفاضلة، فإن علم العروض وعلم النحو وإن كانا فاضلين إلا أنهما لن ينالا فضيلة علم الفقه الذي به يتوصل إلى إظهار العبودية، ولا فضيلة علم الكلام الذي هو المجاهدة عن الدين باللسان، ويضيف العامري إن خاصية التفاضل هي عامة للأشياء وليست قاصرة على العلوم وإلا فمن ذا الذي يشك في أن الكرسي والعرش أفضل من الجواهر السفلية.(٢)

النظرة التكاملية للعلوم عند العامري

يقرر العامري إن النظرة إلى العلوم ينبغي أن تكون تكاملية بمعنى إن العلوم كلها فاضلها ومفضولها تتكامل لتحقق الهدف العام منها وعليه فلا ينبغي الازدراء بعلم أو التقليل من مقداره.(٣)

فالتفاضل وان كان سمة عامة في الأشياء كلها، ومنها العلوم إلا أنه ينبغي النظر إلى كل واحد من العلوم وإن قل خطره على أنه في نفسه جليل الشأن رفيع المكان، وما الذل والنقيصة إلا في الجهل والغباوة، قال تعالى: { يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}(٤) وقال الإمام علي رضي الله عنه: " قيمة كل امرئ ما يحسنه"(٥)

أفضلية العلوم الملية على سائر العلوم.

(١) الإعلام ص: ٩٥.
(٢) الإعلام ص: ١٠٠.
(٣) الإعلام ص: ٩٦.
(٤) سورة المجادلة الآية رقم: ١١.
(٥) المخصص . لابن سيده طبع دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م الطبعة : الأولى ج ٢٣٢/٥.

يقرر العامري إن العلوم الملية أشرف العلوم كلها منزلة وأعلاها رتبة وأرفعها درجة، وإنما كان الأمر كذلك لما يلي:

١- إن ثمرة العلوم كلها هي الوصول إلى الخيرات ولا خير للعبد أفضل من إفادة الزلفى إلى مولاه، ولن يسعد بنيلها إلا بإخلاص العبودية له، ولن يصير الإنسان مهتديا إلى إقامة حقوق من له الخلق والأمر إلا بعلم دين الحق دون ما سواه من العلوم الأخر.

٢- الأديان لا تأتي للنفع الخاص بل يقصد بها أبدا المصلحة الكلية، والحاجة إلى ما يعم الخلائق جدواه تكون أمس منها إلى المقصور نفعه على شخص واحد، أما العلوم الأخرى فلا تعدو أن تكون فضائل للأفراد حتى لو أن واحدا من ذوي الألباب أعرض عن اقتنائها لم يلحقه العتب.

٣- إن العلم الديني يعد أساسا تبنى عليه سائر العلوم، وما ذلك إلا لأنه يقتبس من المشكاة التي إليها تعتزى الأوضاع الأولية لكل صناعة نظرية، ويقصد العامري من ذلك إن العلوم الملية صادرة من الوحي الإلهي الذي لا يعرض الشك له، ولا يجوز الغلط فيه، وأما العلوم الأخر فليس واحد منها يقوى بحيث يؤسس عليه علم الدين أو يقضي على شيء من أبوابه.(١)

نخلص من ذلك إلى أن العامري يرى أن لا تعارض ولا معاندة بين العلوم الملية والعلوم الحكمية، بل كلاهما حق، والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له.(٢) كما نخلص إلى إن العامري ينتهج النظرة التكاملية للعلوم كلها، وأيضا فإن العلوم الملية أفضل من العلوم الحكمية من حيث أنها الأساس الذي تبنى عليه سائر العلوم، ومن حيث إن ثمرتها عامة للخلائق.

(١) الإعلام ص: ١٠٢.
(٢) انظر فصل المقال لابن رشد ص: ٣١،٣٢.

المبحث الثاني

بيان مناقب الإسلام على سائر الأديان

- بيان أركان الدين التي تبين من خلالها المناقب
- المنهج المتبع في إجراء المفاضلة.
- جانب الاعتقاد
- جانب إثبات إرسال الرسل
- جانب إثبات الملائكة
- جانب إثبات الكتب
- جانب إثبات المعاد
- الأفضلية بحسب الملك
- الأفضلية بحسب المعرفة.

تمهيد:

يمهد العامري للدخول في بيان مناقب الإسلام على غيره من سائر الأديان فيحدد الأديان التي ستكون محور البحث ويأخذها من قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[1] ثم يبين أن ما من دين إلا ويشتمل على جانب الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر.

فما من دين إلا وله:

- اعتقاد بشيء يجري سعيه إليه.
- منهج في العبودية يتحرى بالتزامه إقامة الطاعة.
- أوضاع في المعاملات ينتظم بها معاشه.
- رسوم في المزاجر يتحصن بها من البوائق والأشرار.

(١) سورة الحج الآية رقم: ١٧.

ثم يحدد العامري الأركان التي تدور عليها أبواب الأديان :

- أركان الاعتقاد وهي خمسة: الاعتقاد في الله تعالى، الملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر.
- وأركان العبادات: العبادة النفسانية، والبدنية، والمالية، والملكية، والعبادة المشتركة من كل هذا.
- وأركان المعاملات: المعلومات كالبيع والشراء، والمناكحات، والمخاصمات، والأمانات، والتركات.
- وأركان المزاجر: مزجرة قتل النفس، أخذ المال، هتك الستر، ثلب العرض، خلع البيضة.

منهج العامري في المقارنة بين الأديان لبيان مناقب الإسلام

ويضع العامري منهجا لمن أراد أن يتبين فضيلة دين على غيره، يتلخص في قوله: إنه على متبعي الأديان أن يتحققوا من أفضلية ما يؤثروه من الأبواب الأربعة على ما ليس بفاضل منها لا بحسب الاقتداء بالسلف بل بمقتضى العقل الصريح ويستند العامري في هذا النهج إلى قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ }[1]

كما يهيب العامري بمن يريد أن يعرف رجحان الدين الذي هو عليه من سائر الأديان بأن يقيس واحدا واحدا مما اشتمل عليه دينه بالذي هو نظيره من المرتب تحت الأديان الأخرى، ويحكم عقله في التمييز بين الأشرف منها والمشروف، ليتوصل به إلى درجة المستبصرين ويوقن بأنه قد أصبح بميزتها من الكرامة بالقسط الأوفى.

(١) سورة الزخرف الآية رقم ٢٣،٢٤.

وعليه:

فلا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، فلا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، أو يعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذاك.

بل الأشرف بالأشرف، والأصل بالأصل، والفرع بالفرع وهكذا.

كذلك لا يعمد المقارن إلى خلة موصوفة في فرقة غير مستفيضة في كافتها فينسبها إلى جملة طبقاتها.

فمتى حافظ العقل في المقابلة على هذين المعنيين فقد سهل عليه المأخذ في توفية حظوظ المتقابلات وكان ملازما للصواب في أمره.[١]

المقابلة بين الجانب الاعتقادي في الإسلام بما يقابله في الأديان الأخرى.

يطبق العامري منهجه في المقابلة فيقابل كل ركن من الجانب الاعتقادي في الإسلام بما يقابله في الأديان الأخرى على النحو التالي:

الإيمان بالله تعالى :

إن أهم ركن من أركان الدين يتمثل في الإيمان بالله تعالى فهو رأس الأمر وعليه تبنى سائر الأركان، ويقرر العامري إنه بعد الاستقراء والتتبع لم يوجد دين عني أهله بتقديم المقدمات العقلية لاستخراج النتائج النظرية في استخلاص توحيد الله تعالى من شبهات المعاندين، ومغالطات المغالطين مثل ما عني به متكلموا الإسلام فإنهم قد بلغوا في ذلك مبلغا شهد المعنيون بالفلسفة، والمحققون من ذوي الحكمة على تقدم شأوهم في تحصيل الحق منه.

ولعلنا نضم قول الإمام الغزالي إلى قول العامري في الإشادة بعلم الكلام وقيامه بدوره المنوط به يقول الإمام الغزالي وهو بصدد تفحص العلوم ونقدها حيث يقول: ثم إني ابتدأت بعلم الكلام، فحصَّلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علماً وافياً

(١) انظر الإعلام بمناقب الإسلام ص: ١٢٥.

بمقصوده" ثم يبين المقصود منه وهو: حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة "[١].

وبهذا التحقيق الذي بذله المتكلمون كانت العقيدة في الله تعالى سالمة عن التشبيه الذي اعتقده اليهود، والتثليث الذي اعتقده النصارى، والضد الذي اعتقده المجوس، والشرك الذي اعتقده عبدة الأوثان بل كانت الدعوة إلى تجريد التوحيد صريحة في الإسلام على ما جاء في قوله تعالى: {تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً}[٢].

إثبات الرسل:

يقابل العامري موقف الإسلام من إثبات الرسل بالأديان الأخرى فيبين إنه موقف يمتاز بالوسطية بكل معاني الكلمة، فلا غلو ولا تقصير، فقد قرر الإسلام أن الرسل عباد الله المصطفون قال تعالى: { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ}[٣] وبين أنهم مأمورون بالتبليغ { فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ}[٤] وبين أنهم بشر وأنهم معصومون من الزلل، كما لم يفرق الإسلام في الإيمان بين الرسل كما قال تعالى: {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}[٥] مع إثبات التفاضل بينهم كما في قوله: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم}[٦]

أما سائر الأديان فإنها لم تسلم من الغلو أو التقصير في حق الأنبياء فهناك غلو النصارى في عيسى عليه السلام حتى قالوا إنه ابن الله، وقال

(١) انظر المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي طبع دار الكتب العلمية بيروت ط أولى سنة ١٩٨٨م ص: ٣٢.
(٢) سورة آل عمران الآية رقم: ٦٤.
(٣) سورة الحج الآية رقم: ٧٥.
(٤) سورة النحل الآية رقم: ٣٥.
(٥) سورة البقرة الآية رقم: ٢٨٥.
(٦) سورة البقرة الآية رقم: ٢٥٣.

بعضهم هو الله، قال تعالى: {وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ}(١) وقال: {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}(٢) وأما التقصير فمثل جحود اليهود نبوة إبراهيم عليه السلام والاقتصار في وصفه على أنه كان رجلا صالحا، ونسبتهم لوطا عليه السلام إلى الفجور بابنتيه في حال السكر.(٣)

إثبات الملائكة:

وكذلك في جانب الملائكة نرى أن الإسلام أثبت وجودهم وأنهم عباد الله مكرمون، لهم صفات معينة، ولهم منزلتهم عند ربهم، يعملون بأمر ربهم، وأنهم معصومون من المعصية {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}(٤) أما سائر الأديان فلم تخل من انحراف واضح في جانب الملائكة، كادعاء عبدة الأوثان أنهم بنات الله قال تعالى:{ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً}(٥) وادعاء الثنوية والمجوس بما ينسبونه لهم من الرفعة الإلهية، وادعاء اليهود أن الواحد منهم يجوز أن يرتكب الكبيرة وأن يعاقبه الله تعالى بالمسخ.

إثبات الكتب:

أثبت الإسلام الكتب السماوية مقررا أنها اشتملت كلام الله وأوامره ونواهيه إلى رسله عليهم السلام كالتوراة والإنجيل قال تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ}(٦).

---

(١) سورة التوبة الآية رقم: ٣٠.

(٢) سورة المائدة الآية رقم: ١٧.

(٣) انظر الأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص: ط دار نهضة مصر الأولى سنة ١٩٦٤م ص: ٤١،٤٢.

(٤) سورة التحريم الآية رقم: ٦.

(٥) سورة الإسراء الآية رقم ٤٠: وانظر : الكشاف للزمخشري ج٦٦٨/٢، والتفسير الكبير للرازي ج٣٤٥/١.

(٦) سورة آل عمران الآية رقم:٣، ٤.

ولم يكتف الإسلام بمجرد إثبات الكتب السماوية بل وصل الأمر إلى جعل الإيمان والتصديق بها ركنا من أركان الإيمان برسالة الإسلام قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}(١)

أما بخصوص كتاب الإسلام – القرآن الكريم– فيقرر العامري بأنه قد امتاز على سائر الكتب باستجماع الفضيلة سواء في صورة الخطاب أو نظم المعاني وتأليفها.(٢)

إثبات المعاد:

من يتأمل عقيدة الإسلام يجد أنها تباين غيرها من الأديان في أمر المعاد، فلم يخل أمر المعاد في سائر الأديان الأخرى من الادعاء والانحراف والتشويه، من غير أن يكون مؤيدا بأدلة نقلية صحيحة أو عقلية صريحة، فهناك من يعتقد التناسخ ودوران الروح بين الأجساد، وهناك من يعتقد أن انقلاب النفس إلى حالة الضياء هو الثواب، وأن انقلابها إلى ضده هو العقاب، و اعتقد بعضهم أن مجرد تخلص الروح من الجسد هو الثواب، وضده هو العقاب، أما الإسلام فقد رسم صورة واضحة مبرهنا عليها للمعاد وللثواب والعقاب حيث قرر الإسلام ما يلي:

- إن العالم منقض بالساعة التي هي : { آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا }(٣).
- إن الله تعالى يعيد الأرواح إلى الأجساد على تركيب تتحد به قوتا الحس والعقل فتعرف النفس بقوة العقل أحوالها التي مضت عليها في الدنيا، وما اكتسبته من حسنة أو سيئة، وتدرك بقوة الحس اللذات التي تتمتع بها، والآلام التي تتعذب بها.

(١) سورة البقرة الآية رقم: ٢٨٥.
(٢) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ١٣٢.
(٣) سورة الحج الآية رقم: ٧.

-إن هناك ثوابا وعقابا من أجناس الملذات كالمطاعم والمشارب والمناكح، والمؤلمات كالمحابس، والسلاسل، ولكن كيفيتها لن تدرك إلا بأن يجعل لها عيارا مما شهدته الحواس في الدنيا(١).

فضيلة الإسلام بحسب الأركان العبادية:

يؤسس العامري كلامه هنا على ما ثبت للإسلام من عموم رسالته، ومن كونها خاتمة الرسالات، ولذا فقد جاءت التشريعات فيه مناسبة لعموم البشر في كافة الأزمان والأحوال، يقول العامري: " إن أحق الأديان بالبقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين بحيث يجد كل من ذوي الطبائع المختلفة ما يصلح به حاله في معاده ومعاشه، ويستجمع له منه خير دنياه وآخرته"(٢)

ومن يتأمل في شرائع الإسلام وعباداته يجد أنها محققة هذا التوسط وذاك الاعتدال فهو دين الفطرة كما قال الله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(٣).

يقول الطاهر بن عاشور: في بيان معنى فطرة الله: هذا الدين مختص بوصفين هما : التبرؤ من الإشراك، وموافقتُه الفطرة، فيفيد أنه دين سمح سهل لا عنت فيه، أي الدين الذي هو فطرة الله ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف: أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكرين له مثل إثبات الوحدانية لله

(١) الإعلام ص: ١٣٤،١٣٥.

(٢) الإعلام بمناقب الإسلام ص:١٣٧، وانظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للطاهر بن عاشور الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع- تونس- ص: ٢٤، وما بعدها، القول السديد في علم التوحيد للشيخ أبي دقيقة ج٣/٩٣، ٩٤ .

(٣) سورة الروم الآية رقم: ٣٠.، وانظر: الإعلام بمناقب الإسلام ص:١٣٧، وانظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للطاهر بن عاشور الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع- تونس- ص: ٢٤، وما بعدها.

لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح حتى لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يلقَّن اعتقاداً ضالاً لاهتدى إلى التوحيد بفطرته،. اهـ.(١)

ويعرف من هذا المعيار – مساوقة الدين للفطرة – إن الدين الذي لم يوجد على هذه الصفة فمن المحال أن يكون هو الأفضل، ويذكر العامري هنا ما اشتملت عليه سائر الأديان من أمور مجانبة للفطرة، من مثل ما تمسك به رهبان النصارى من هجران المناكح والانفراد في الصوامع، وترك الطيبات من الرزق، وكذلك ما يتعاطاه الصديقون من الثنوية من حمل الأنفس على الوجاء، والخصاء، وملازمة الأصول الخمسة التي هي عندهم الصدق – الطهر– الراحة– القدس– المسكنة دون غيرها من حركات العمارة.

وما انتهجه نساك الهند من إحراق الأجساد وتفريقها في الماء، والتردي من الجبال.

ويؤكد العامري إن هذه المظاهر كلها بعيدة عن فطرة الله التي فطر الناس عليها مما يقعد بهذه الأديان عن إحراز الأفضلية، ولو أن الله تعالى أراد بعباده حملهم على إهلاك الأنفس لما علمهم صنعة لبوس لهم لتحصنهم من بأسهم، ولما هداهم إلى صنوف العقاقير الطبية ليستشفوا بها من الآلام المعترية.(٢)

فضيلة الإسلام بحسب الملك

يوضح العامري إن صناعة الملك والسياسة مهما استعملت استعمالا حسنا فإن المعتنق لها والمستقل بأعبائها بصير لا محالة مجتلبا لشرف الإمامة، ويصير خليفة الله تعالى في استصلاح خلقه، ومهما استعملت

(١) التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور الطبعة التونسية ج٨٩/٢١، ٩٠، وانظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للطاهر بن عاشور الطبعة الثانية، الشركة التونسية للتوزيع– تونس– ص: ٢٤، وما بعدها.
(٢) الإعلام ص: ١٣٧، ١٣٨.

استعمالا رديئا فإن صاحبها والمفتخر بحيازتها يبتلى من الضرورة بصفة المتغلبين، ويعد بقاؤه فضيحة لزمانه.

وإذا كان هذا الأمر كذلك فما علينا إلا أن نجيل الفكرة فيما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم من سعة الذكر بما جمع له من النبوة والملك وكونهما من القوة بحيث طبقا واسطة العالم، واستخلصا لباب العمران.

فهل هو بالإمامة أشبه، أم بالتغلب، وخصوصا إذا وجدناه مستعملا للسيف في موضعه كاستعماله الإرشاد في وقته؟

وإجابة على ذلك نقول:

إن الوقائع الحربية التي تقع بين الخليقة لا تخلو من أحد الوجوه التالية:

-أن تكون على صورة الجهاد وهو ما يتولاه عمار البلاد وساسة العباد من الدفاع عن الدين وحفظ المراتب.

-أن يكون على وجه الفتنة: وهو ما يقع بين طبقات الأمم من الهيج والقتال لتعصب بلدي أو نسبي.

-أن يكون على وجه التصعلك وهو ما يقصد به من انتهاب المال واستلاب الأملاك.

وكل واحد من هذه الأنواع هو نتيجة قوة من قوى الإنسان، فالجهاد هو نتيجة القوة التميزية، وهو محمود عند ذوي الألباب، والفتنة نتيجة القوة الغضبية، والتصعلك نتيجة القوة الشهوية، وكلاهما مذمومان عند ذوي الألباب.[١]

فإذا وضح ذلك فإنا متى تتبعنا أحواله صلى الله عليه وسلم في حروبه فسنجد أنه صلى الله عليه وسلم جعل قصارى غرضه من هذه الحروب كلمة يبذلها خصمه قريبة من الإقرار بوحدانية من له الخلق والأمر، والتصديق بما أرسل إليه من عنده، حتى إذا وجدها منه أغمد عنه سيفه بل وأوجب على

(١) الإعلام ص: ١٥٦، بتصرف يسير.

نفسه حمايته، ومتى ألفاه مصرا على منابذة الحق صرف ما حواه الخليع من مال الله في أبواب البر ومكاسب الأجر ومعونة من جرد العبودية لله تعالى.

من غير أن يرتاح للتلذذ به أو يبتهج بالتمتع من زهراته، وتأكيدا لذلك فإنه صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا بعد استخلاص ممالك جزيرته لأهل دعوته، على تلك الحال السوية والوتيرة الصادقة صابرا على بؤسه وضيق حاله صارفا همته إلى عبادة خالقه لا يجنح إلى شيء من زخارف الدنيا.(١)

وإذا كان هذا دأبه صلى الله عليه وسلم لم يشك في أنه كان متمسكا في سيره بصورة عبد قد أخلص الولاية لمولاه وعلم أن عباده قد انتهكوا حرمته فحملته سجعة الوفاء لمولاه على نهيهم وزجرهم فبالغ فيه بالقول اللطيف أزمنة طويلة حتى إذا أيس من ارعوائهم وأيقن أن الوعظ لا ينجع فيهم ذهب في علاجهم مذهب الطبيب المتحدب الذي خاف من إتيان الداء العضال على نفس العليل، وعلم أن السبيل إلى استبقائه غير موجود إلا بقطع عضو من أعضائه، فأوقع في مغازيه بعدد من القتلى تدرجا إلى استنقاذ الجمهور من الهلاك والردى، ثقة منه بأن المحمولين على شرف الدين في مبدأ أمرهم كرها متى وقفوا على فضائل دعوته فإنهم بعد الاستيضاء برونقها سيعتدون له بجسيم المنة وجزيل النعمة.(٢)

وإذا كان الوضع الحقيقي للملك الإسلامي بهذا المحل والجلالة فمن الواجب أن نعلم أن الآفة متى لحقته في زمان من الأزمنة فإن الملة الإسلامية لن تصير معيبة به، بل يعاب بها من ألحق الآفة به في استعماله على غير وجهه.(٣)

(١) الإعلام ص: ١٥٧.
(٢) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ١٥٧.
(٣) الإعلام ص: ١٥٧-١٥٨، بتصرف.

فضيلة الإسلام بالإضافة إلى الرعايا

فضيلة أخرى يبحثها العامري للإسلام وهي نظرة الإسلام إلى عموم الناس سواء المنتسبين إليه أو غير المنتسبين.

ويقرر العامري أن طبقات الرعايا في كل عصر ينقسمون مرة إلى الشريف والوضيع، ومرة إلى القوي والضعيف، ومرة إلى الولي والعدو.

وإذا تأملنا حال الإسلام مع كل هذه الأنواع للطبقات وجدنا أن الإسلام قد اختص كل نوع منها بما يناسبه وبما يضمن مصلحته في معاشه ومعاده.

أما القوي فقد أطلق له الإسلام الندوب إلى ما تنجذب إليه همته من اكتساب المعالي واقتناء المفاخر، بل أعطاه تمام الأمر للسلامة عن رتبة الاستعباد، وسياسة الاستخوال.

وأما الضعيف : فإن لحقه الضعف من جهة التركيب – مثل النساء– فليس دين من الأديان أزجر عن الاعتداء عليهن، وأدعى إلى الرفق بهن من هذا الدين نص على ذلك الكتب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإن لحقه الضعف من جهة السن كاليتامى فقد بالغ الإسلام بحفظهم وحماية أملاكهم، وحرمة أكلها بالباطل.

وإن لحقه الضعف في معاشه كالفقراء فقد أمر هذا الدين بمواساتهم والإفضال عليهم.

وإن لحقه الضعف من رقبته كالأسراء فقد حث الإسلام على فك رقابهم، وذكر بالإعتاق عليهم، بل جعله وسيلة للخروج من كثير من الخطايا أو التقصير في العبادات – الكفارات.[١]

وما أروع ما قاله الطاهر بن عاشور في موقف الإسلام من تحرير العبيد وفك الرقاب حيث يقول: "وقد جُعلت كفّارة قتل الخطأ أمرين : أحدهما تحرير رقبة مؤمنة، وقد جعل هذا التحرير بَدلاً من تعطيل حقّ الله في ذات

(١) الإعلام ص: ١٦٤.

القتيل، فإنّ القتيل عبد من عباد الله ويرجى من نسله من يقوم بعبادة الله وطاعة دينه، فلم يَخْل القاتل من أن يكون فوّت بقتله هذا الوصف، وقد نَبهتْ الشريعة بهذا على أنّ الحرية حياة، وأنّ العبودية موت ؛ فمن تسبّب في موت نفس حيّة كان عليه السعي في إحياء نفس كالميتة وهي المستعبَدة."(١)

وإن لحقه الضعف في وطنه كالغرباء فقد وصى الإسلام في كتابه بابن السبيل.

أما قسمة الرعايا بحسب الشريف والوضيع فإن الإسلام لم يدخر جهدا في توفير الرعاية والمسئولية لكل نوع بما يضمن مصلحته، وذلك لان اسم الشرف والضعة معدود من الأسماء الإضافية، ولهذا روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: { كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته}(٢).

فنسب صلى الله عليه وسلم الرعاية والمسئولية إلى الكل، ففهم منه أن كل شريف فهو بالإضافة إلى من فوقه وضيع، وكل وضيع هو بالإضافة إلى من دونه شريف، وعلى هذه الصورة تجري الرعاية والمسئولية، فالكل راع والكل مسئول عن رعيته.

ونفس الحال في قسمة الناس إلى الولي والعدو، فقد شدد الإسلام في المحافظة على أسباب الولايات الثلاث: ولاية المناسبة، ولاية المعاقدة، ولاية الديانة.

وأما العدو فقد حرص الإسلام على اقتلاع أسباب العداوة كلها بين أتباعه، فلم يبق إلا عداوة الجاحد له المعاند لأحكامه، وهذه العداوة تتنوع إلى ثلاث.

عداوة الملحد– عداوة المشرك– عداوة الكتابي.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٥/ ١٥٩.

(٢) الحديث متفق عليه انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر . بيروت بدون ص: ٥٩٤. الإعلام ص: ١٦٥.

أما الملحد فأكثر آفاته هو استحبابه للذات الحسية التي تعميه عن تأمل العواقب، وتدعوه إلى إمراح النفس فيما يشتهيه طبعه.

وأما المشرك فأكثر آفاته هو ما يظهر لحاستي سمعه وبصره في الأوثان المنحوتة، وما ولدته السدنة على أتباعهم من الأخبار المهولة التي لا يكاد يقف حقائقها إلا الفطن المتقن.(١)

وأكثر آفات الكتابي هو ما وقع في كتبهم من التأويلات المختلة، وما تسلط على توراتهم وإنجيلهم من الأهواء المضلة.

موقف الإسلام من هذه الأنواع

يوضح العامري أن من أعم أسباب الرحمة بهذا الدين أنه لا يقر الملحد والمشرك في مملكة نفسه إلا بعقد الأمان ولو تركهما من غير عهد ولا ميثاق حسب ما يترك الكتابي لنفضا شغلهما على استزلال العوام، ولأسرع الأكثرون منهم إلى إجابتهم لقوة سلطان التقليد الحسي عليهم، وعند ذلك تكون السياسة الفاضلة قد قصرت عن استيفاء حقها عن حسم مواد الفساد.(٢)

أما الكتابي فلأن القرآن مصدق لكتابهم، ومهيمن عليه اقتصر منهم على الجزية التي هي شرائط الملك دون شرائط الدين، وأمر الولاة بحمايتهم ليتوصلوا على طول الأيام بمخالطة أهل الإسلام إلى معرفة ما تضمنه القرآن من الشرائع والأحكام، ويتنبهوا على موقع مزيته على ما اعتقدوه من دينهم، فيسلموا بشرف هذا الدين ومزيته.(٣)

فضيلة الإسلام بحسب المعارف

يبحث العامري هنا فضيلة أخرى من فضائل الإسلام تدور حول موقف الإسلام من العلم والمعرفة، وهي بحق موطن فخر واعتزاز للإسلام فقد حث الإسلام على العلم والتفكير بل لا نبالغ إذا قلنا إنه أوجب العلم والتفكير، حتى صارت أوامر القرآن الكريم بذلك تضاهي الأوامر بأداء أركان الإسلام من

(١) الإعلام بمناقب الإسلام ص: ١٦٦، ١٦٧.
(٢) الإعلام ص: ١٦٨.
(٣) الإعلام ص: ١٦٨، ١٦٩.

العبادات، فقد مدح الله قوما أعملوا عقولهم فتفكروا، وذم قوما أهملوا عقولهم فقلدوا قال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا}(١)، وقال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}(٢).

وفي هذا الصدد يقرر العامري إن اهتمام الإسلام بالعلم والمعرفة من أسباب قوة الدين وعوامل تأييده، حيث إن التقوية لأسباب الدين والدعاء إليه قد تكون باليد وقد تكون باللسان، إلا أن الدين الحق تكون الحاجة لتأييده بقوة اللسان أمس من تأييده بقوة اليد، بل عند التحقيق لا يستعان باليد في إقامة الدعوة إلا بعد المبالغة في الإعذار والإنذار، وبعد اليأس من تأثير الهداية والإرشاد، وبذلك يختلف حال المتدين عن حال البغاة والمتغلبين.(٣)

وعندما نتأمل حال الإسلام نجد أنه قد فتح طريق المعرفة بأوسع أبوابه، حتى صارت واقعا معبرا عن حال الإسلام، فهناك طائفة المحدثين الذين انبروا لتتبع أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وجمع أحاديثه، ومعرفة الصحيح من غيره، وهناك طائفة المتكلمين الذين شغلوا بالبحث في الأصول الاعتقادية لإيراد الحجج لها، ودفع الشبهات عنها، فلم يدعوا مقالة في ذلك تعزى إلى صنف من الأصناف إلا خلصوا إلى معرفتها بهيئتها ودعواها، وما اعتل به أهلها.

وبمثل ذلك سار الفقهاء في تتبعهم لوجوه الأحكام، وخوضهم في دقيق الفتاوى واستنباطهم للطائف التفريعات.

وإكمالا للعلوم التي هي بمنزلة الآلة قام الأدباء بتجريد الهمة لتحقيق ما يتعلق بصناعة النحو وصناعة العروض لحفظ لغة الإسلام.

(١) سورة آل عمران الآية رقم: ١٩١.
(٢) سورة البقرة الآية رقم: ١٧٠.
(٣) الإعلام ص: ١٧٩.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نشط الألباء من أهل الإسلام في نقل الكتب المنسوبة إلى ذوي الشهرة من حكماء الروم، والفرس، والهند واليونان واستقصوا تأمل معارفها، وحلوا مواقع الشبهة منها، وتولوا شرحها وإذاعتها، وتأدبوا في أبوابها بكمال تأديب الله تعالى في قوله: { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}[١] ومعنى هذا الكلام إن مفكري الإسلام عندما نقلت الفلسفات الأخرى إلى العربية كانت نظرتهم فيها نظرة فاحصة ناقدة ولعل هذا ما سيفصح عنه ابن رشد فيما بعد بقوله: " يجب علينا ...أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه وعذرناهم".[٢]

كل هذا كان للإسلام ولم يكن شيء منه لأهل الأديان الأخرى إذ لو كان لهم هذه السعة في المعارف والبسطة في المعالم لوجدت كتبهم مبرزة في أيديهم ولما خفي خبرها على المتعرضين لأحوالها، ولما جهل مخالفوها أسماءها.[٣]

اعتراض ورده:

لعل معترضا يقول إن الأكثرين من المترجمين كانوا يتدينون بالنصرانية والصباوة.

وذلك لأنا نقول بأنهم ما فعلوا ذلك إلا لما شاهدوه من قوة الإسلام وشرفه، وما كان قصدهم إلا التقرب إلى الخلفاء الضابطين لعرى الإسلام وقواعده.[٤]

(١) سورة: الزمر الآية رقم: ١٨.
(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد تحقيق د. محمد عمارة دبع دار المعارف الثالثة ص: ٢٨.
(٣) الإعلام ص: ١٨٢، ١٨٣.
(٤) الإعلام ص: ١٨٣.

المبحث الثالث

منهجية العامري في الرد على الشبهات التي تثار ضد الإسلام

- الشبهة الأولى: انتشار الإسلام بالسيف.
- الشبهة الثانية: افتراق المسلمين
- الشبهة الثالثة: اشتمال القرآن الكريم على التعارض.
- الرابعة: موقف الكتب السابقة من الرسول صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم.

تمهيد :

إكمالا للجهد الذي بذله العامري في بيان مناقب الإسلام في الفصول السابقة نراه يعقد فصلا خاصا للشبه التي تثار ضد الإسلام ثم يفندها ويرد عليها، وهذه الشبهات وإن كانت كثيرة إلا أن الشبه التي لها تأثير في الأوهام ورواج على الضعفة من العوام تنحصر في أربع ومتى تمكن العاقل من حلها وقدر على بيان مواقع التدليس فيها لم يكن له فيما سواها قوة يخشى بها الرواج عليه، وهذه الشبهات على النحو التالي:

- الشبهة الأولى: انتشار الإسلام بالسيف.
- الشبهة الثانية: افتراق المسلمين.
- الشبهة الثالثة: اشتمال القرآن الكريم على التعارض.
- الرابعة: موقف الكتب السابقة من الرسول صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم.

الشبهة الأولى: انتشار الإسلام بالسيف.

من أهم الشبه التي يحاول بها أعداء الإسلام تشويه الإسلام وهي تتلخص في أن الإسلام لو كان دين الرحمة لما كان الداعي إليه مقدما على الخليقة بالسيف ومتعسفا أملاكهم بالسلب، ومسترقا لذراريهم بالسبي، ولكان له في الدعاء إليه باللسان والإرشاد له بقوة البيان غنية عن الأفعال المضاهية لفعل المنافس في النعم، والمتغلب على القسم.

الرد:

يفند العامري هذه الشبهة بتحليلها وبيان الوجوه التي تستعمل فيها القوة فيبين إن ذلك قد يقع على صورة الجهاد فيكون محمدة لصاحبه ورحمة للعالمين، وقد يقع على صورة الفتنة أو التصعلك فيصير مذمة لصاحبه ومحنة على العالمين.

وما علينا تجاه هذا التقسيم إلا أن نتتبع أحواله صلى الله عليه وسلم الله في دعوته إلى الإسلام للنظر أكان استعماله صلى الله عليه وسلم للسيف متعلقا بمصلحة عامة أو مرتبطا بمفسدة شاملة، ونتعرف على أحواله في ذلك أكانت مرتبطة بالهداية والإرشاد، أم كانت دالة على التخبط والاستفساد؟(١).

ويمكننا تلخيص أحواله صل في ذلك فيما يلي:

- إنه افتتح دعوته وأظهر رسالته التي خالف بها أهل الأرض وهو يعلم ضعف حاله ويوقن أنه لا عداوة في الخلق أشد من عداوة الدين، وقد انتصب لمناوأة العالم ملوكه وسوقته، من غير أن يوجد معه مال ممدود وأعوان شهود.
- لم يلتفت صلى الله عليه وسلم إلى ما عرض عليه من ترك الرسالة مقابل المال الجم والرئاسة المعقودة بل صابر على ما يناله في حال ضنكه وفاقته ملتزما قوله تعالى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}(٢).
- ظل على ذلك ثلاث عشرة سنة.أفترى لولا ثقته بأن الله سينصر رسله والذين آمنوا وإلا فمتى يتسع في الطبع البشري أن يطمح ما حالته تلك في تتمة ما أقدم عليه من الأمر الجسيم والخطب العظيم.

(١) انظر الإعلام بمناقب الإسلام ص: ١٨٨، ١٨٩.
(٢) سورة يوسف الآية رقم: ١٠٨.

- عند ذلك ندرك أن غرضه صلى الله عليه وسلم من استعمال السيف على من ناوأه لم يكن أبدا لإزالة نعيمهم ولا انتهاب قنيتهم؛ بل لو قدر على استصلاحهم من غير حاجة إلى سفك دماء بعضهم لكان ذلك هو الآثر عنده والأحب لديه، ولكنهم لفرط عنادهم أحوجه إلى أن يذهب معهم في إعمال السيف مذهب سائس أشفق على رعيته من عاديات الخباث وحاول ردعهم بما انهمكوا فيه من أبواب العيث فلم يجد سبيلا إلا بإهلاك بعض الأفراد(١).

الشبهة الثانية: افتراق المسلمين

حاصلها إن دين الإسلام لو كان حقا من عند الله لما كان أهله على حالهم هذا من التضاغن والتعادي وتشتت الأهواء وافتراق الكلمة.

الرد:

يفند العامري هذه الشبهة بأن هذه الأحوال التي وقعت للمسلمين لم تكن بسبب الإسلام ولكنها لما كان الإسلام ناسخا للأديان كلها وكان ملكه قادحا في الرئاسات كلها، فقد امتلأت القلوب غيظا له، وأيضا لما كان الإسلام قد هدم كراسي علماء الكتابيين وطوى مقاعد الملوك والسلاطين ثم كان مع ذلك في غاية الحسن ونهاية الأنق فغير بعيد أن يكثر عدوه وتزدحم التخاليط عليه(٢).

الشبهة الثالثة: اشتمال القرآن الكريم على التعارض.

حاصلها إنه إذا كان عماد الإسلام في تقوية دعواه هو ما أشار عامة من دعي إلى قبوله فقيل لهم: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى

(١) الإعلام ص: ١٩٠، وانظر تفسير الشيخ المراغي ج ٩٤/٢.

(٢) الإعلام ص: ١٩٣، وقد فصل العامري هناك الجهات والأسباب التي بحسبها تتولد الاختلافات في باب الديانات، ثم بين أنها ليست قاصرة على الإسلام بل هي عامة في سائر الأديان ص: ١٩٣ – ١٩٦.

عَلَيْهِمْ}[١]، ثم وجدنا القرآن الكريم نفسه من فرط البعد عن البيان الشافي وضعف الإقناع بحيث وجدت الفرق بأسرها مع تباعدهم في العقيدة بحيث تجد لها وجها في الاحتجاج بألفاظه ومسندة دعواها إلى ظواهر فحواها، فإذا كان عماد الإسلام في باب الحجاج هو هذا ثم كانت صورته في ضعف الهداية هذه الصورة فمن أين يستجيز العاقل بت القضية بأنه أفضل الأديان وأسدها[٢]؟.

الـــرد:

يبدأ العامري تفنيده لهذه الشبهة إجمالا بأن العقول في أنفسها متفاضلة وللأفهام في ذواتها مراتب، ومن المعقولات ما يكون استثباته قريبا، ومنها ما يكون عن فكر الحق به نائيا، وبين الناس وسائط كثيرة.

فإذا تقرر ذلك فليس على ناظم الكلام تقريبه من جياد الأفهام وعليلها، بل عليه أن يخلص إلى المعاني التي قصدها بأسهل وجوه اللفظ ثم من فهمه كان ذلك فضيلة له، ومن قصر عنه كان ذلك نقيصة فيه.

وتفصيلا فإن الأوجه التي لأجلها يقع الغرض في الكلام المنظوم تنقسم إلى شعب ثلاث:

- أن يكون الكلام مخرجه على سبيل الرمز.
- أن يكون مخرجه على سبيل الإجمال والإيجاز.
- أن الكلام يكون معناه إما دقيقا في نفسه وإما محوجا إلى التحقيق بمقدمات قبله.

والقرآن الكريم يشتمل على الأوجه الثلاثة، مثل الآيات المتضمنة لإنباء الغيب، وعلامات الساعة، والآيات المتضمنة للتشريع والأحكام فإنها مجامع تولى الرسول صلى الله عليه وسلم تبيانها، والآيات المتضمنة للحجج المحققة للمعاني الاعتقادية نحو إثبات الصانع سبحانه، ووحدانيته، واثبات المعاد.

(١) سورة العنكبوت الآية رقم: ٥١.
(٢) الإعلام ص: ١٩٧.

فإذا كان القرآن منتظما للأوجه الثلاثة فلا غرو أن يكثر الاختلاف فيه، وتزدحم الشبه في معانيه(١).

أما دعوى قصور القرآن عن البيان فهي دعوى باطلة وعلى حد تعبير العامري – بهرج أي مزيفة – يدل على ذلك أن الذين خوطبوا به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا هم الأئمة في الفصاحة وقدوة جزيرة العرب في البلاغة، ولم ينسبه أحد منهم إلى عدم فضيلة البيان بل شهد له أهل المعرفة بالألفاظ بأنه يفضل الكتب كلها من جهة تبيانه وشهد له أهل المعرفة بالمعاني أنه يفضل الكتب كلها من جهة معانيه، ومن أغفل البابين وغبي عنهما فليس عقله بعيار، ولا فهمه بمعير(٢).

الشبهة الرابعة: موقف الكتب السابقة من الرسول ﷺ

حاصلها: قولهم وجدنا صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم صدق خبره وصحة ما حكاه من أمره بأن شهدت له الكتب المنزلة قبله لقوله تعالى: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ}(٣) ثم وجدنا أرباب الكتب السالفة يهتفون بأن البشارة به غير موجودة وإلا فدلونا من أسفارها عليها، وإن ادعيتم عليهم الكتمان والتحريف فواعجبا من أمم تفرقوا في البلاد وأشاعوا في خاصها وعامها أجلَّ نبأ يتوقع حدوثه وصار كل واحد منهم منتظرا له ومبتهلا إلى الله في أن يدنيه حتى إذا ظهر أعرضوا عنه جملة وتطابقوا على كتمانه، فإن كان هذا أمرا ممكنا فما يؤمنكم أن يكون وقع مثله في بعض سور القرآن، وإذا كانت الكتب السابقة خلوا من البشارة به فأقل حاله فيما نحلها من الإفصاح به أن يكون متقولا عليها فتسقط درجته عن أن يكون مرتضى الشهادة، فضلا عن أن يؤتمن للنبوة.(٤)

الرد:

(١) الإعلام ص: ١٩٩.
(٢) الإعلام ص: ٢٠٠.
(٣) سورة يونس الآية رقم: ٩٤.
(٤) الإعلام ص: ١٨٧.

يفند العامري هذه الشبهة مبينا إن بشارة الكتب السابقة بالنبي الأمي صلى الله عليه وسلم تكون برهانا من براهينه وذلك لتعلقه بعلم الغيب الذي أخبر الله تعالى بأنه لا يظهر عليه أحدا {إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ}(١)

ويضيف العامري إنه لن يجوز أن تكون ألفاظ البشارة به صلى الله عليه وسلم واقعة فيها على التصريح والإفصاح لأنه لو كانت كذلك لما تبين عند ظهوره منزلة العاقل من الغبي ودرجة المجتهد من المقصر.

وإذا كان الأمر كذلك فإنها متى وقعت مرموزة فإنها لا محالة تصير معرضة للتأويلات وكل قول كان عرضة لها فإن مسلك التلبيس فيه وإيراد اللبس عليه لن يكون شاقا على الخب الفطن.(٢)

أضف إلى ذلك أن الأحبار والرهبان كانوا قد سعدوا بالترؤس في الدين وما حققوه من حظوة عند العالمين ولم يكن قد خفي عليهم إنهم مهما اتبعوا الرسول المبعوث فإنهم سيضطرون إلى تكلف السعي من جديد لاقتباس المعرفة بشرائعه وأحكامه، وإنهم سيصيرون في تعلمها ذنبا لا رأسا، وتلك مشقة لا تسمح لها النفوس بالهوينى فتحريف الألفاظ المرموزة بالتأويلات الفاسدة عندئذ سيكون أهون بكثير.(٣)

وعلاوة على ذلك فإنا لا نصدق أو لا نكتفي بهذا القول إلا أن نأتي بشهادة الألفاظ المسطرة في كتبهم وخاصة الكتابين اللذين أشار إليهما القرآن في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ}(٤).

فوجدنا في السفر الخامس في التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام {يقيم لكم الرب إلهكم نبيا من إخوتكم بني قومكم مثلي فاسمعوا له}(٥) ثم في

(١) سورة الجن الآية رقم: ٢٧.
(٢) الإعلام ص: ٢٠٢.
(٣) السابق نفس الصفحة.
(٤) سورة الأعراف الآية رقم: ١٥٧.
(٥) سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر فقرة ١٥، الكتاب المقدس ص: ٢٣٧.

هذا الفصل نفسه {سأقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فمه، فينقل إليهم جميع ما أكلمه به، وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أحاسبه عليه}(١) ثم في هذا السفر في الفصل العشرين {أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من جبل ساعير، وتجلى من جبل فاران}(٢) ثم في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا في الفصل الخامس عشر منه "إن الفارقليط الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء"}(٣)

فهذه ألفاظ البشارة من هذين الكتابين وقد نقلت إلى اللسان العربي من اللسان السرياني وليس يجهلها أهل المعرفة بالكتابين، أما وجه كونها حجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فنقول:

أما ألفاظ التوراة ففيها أربعة نعوت متى جمع بينها وضح أنها بشارة به صلى الله عليه وسلم دون غيره.

النعت الأول: إن المبشر به من إخوة بني إسرائيل.

الثاني: إنه مثل لموسى عليه السلام.

الثالث: إن من لم يؤمن به انتقم منه.

الرابع: إن مبعثه جبل فاران.

أما النعت الأول: فإن إخوة بني إسرائيل هم أولاد إسماعيل ولم يبعث منهم نبي سواه..

---

(١) سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر فقرة ١٨، الكتاب المقدس ص: ٢٣٨،٢٣٧.

(٢) سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثون فقرة ١، الكتاب المقدس ص: ٢٥٨.

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر وعندما رجعت إلى النسخة العربية المترجمة وجدت النص هكذا: " صدقوني من الخير لكم أن أذهب فان كنت لا اذهب لا يجيئكم المعزي، أما إذا ذهبت فأرسله لكم ومتى جاء وبخ العالم على الخطيئة والبر والدينونة" يوحنا ٧/١٦ الكتاب المقدس ص: ١٦٩، وأورد رحمت الله الهندي صاحب إظهار الحق قوله: " (البشارة الثامنة عشر) وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب إنجيل يوحنا، وأنا أنقل عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ في بلدة لندن، فأقول: في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: ١٥ (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي) ١٦ (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد) ١٧ " إظهار الحق رحمت الله الهندي طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

وأما الثاني: فلأن حال موسى عليه السلام في ولد إسحاق كانت مضاهية لحال محمد صلى الله عليه وسلم في ولد إسماعيل فإن ولد إسحاق كانوا متبددين في بلاد مصر عبيد ملوكها لا يوجد لهم شمل منتظم ولا شعب ملتئم، فجمع الله بموسى شملهم وآواهم وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها لقوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}[١] وهكذا كان حال العرب قبل الإسلام فآواهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم وملكهم شرق الأرض وغربها.

الثالث: إنا لم نر أمة بعد موسى كذبت بنبيها فنزل بها من جوانح العقوبات مثل ما نزل بمكذبة محمد صلى الله عليه وسلم وخصوصا ممن كان مصدقا بموسى مثل بني قريظة وأهل فدك وخيبر وبني النضير[٢].

الرابع: إن فاران وإن كانت اسما للجبل الممتد من الشام وبادية العرب، فإن الحجاز هي المخصوصة بهذا الاسم، والدليل عليه ما وجد في التوراة في قصة إسماعيل إنه كان يتعلم الرمي في برية فاران، وقد علم أن منشأه لم يكن إلا أرض الحجاز[٣]، فقد ظهر أن أسباب النبوة قد طلعت لموسى من جبل طور سينين ثم لعيسى من ساعير وما دونها من الشام، ثم لمحمد من فاران.

وبنفس الطريقة يستخرج العامري من لفظ الإنجيل البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم.[٤]

(١) سورة الأعراف الآية رقم: ١٣٧.
(٢) الإعلام ص: ٢٠٥.
(٣) الإعلام ص: ٢٠٥، وانظر هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ص: ٥٣
(٤) الإعلام ص: ٢٠٨، وانظر هداية الحيارى ص: ٥٧

الخاتمـــــة

- نتائج البحث
- أهم التوصيات
- فهارس البحث

نتائج البحث

لعل من المفيد في نهاية البحث أن نقف لنرصد أهم نتائج البحث وأهم التوصيات.

أما النتائج فتتلخص فيما يلي:

١- اهتمام الفلاسفة بإبراز معالم وفضائل الدين يعد إثراء لهذا الجانب من البحث.

٢- امتياز الفيلسوف أبي الحسن العامري بالمنهجية والرؤية والموضوعية في تناوله للقضايا محل البحث.

٣- تأكيد العامري على أهمية الربط بين قوتي الإنسان النظرية والعملية بحيث لا غنى لإحداهما عن الأخرى فالعلم مبدأ للعمل والعمل تمام للعلم.

٤- الرؤية التكاملية للمعرفة هي نقطة بارزة في فلسفة أبي الحسن العامري، حيث رأى أن العلوم كلها تتكامل لتصل إلى الهدف المرسوم لها.

٥- التأكيد على أهمية الاختصاص في العلم، حيث أكد العامري أن هناك مناسبة ذاتية بين النفس وبين ما حبب إليها من علم وعليه فيجب تقدير أهل العلوم المبرزين فيها.

٦- الموضوعية والحيادية التي امتاز بها العامري هي الضامن للوصول إلى نتائج أكثر مصداقية خاصة إذا كان الموضوع متعلقا بمقارنة بين الأديان.

أهم التوصيات

أما التوصيات فتتلخص في أن فلسفة أبي الحسن العامري وكما تبين لنا من تنوع مؤلفاته ما زالت ثرية بالمادة العلمية التي تخدم الفكر الإسلامي في شتى موضوعاته، ولذا فهو جدير بتوجه الباحثين للتفتيش عنه وإخراج فلسفته وفكره إلى النور مما يعود على مكتبتنا الإسلامية بالإثراء.

أهم المراجع

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامري تحقيق د.أحمد عبد الحميد غراب طبع دار الأصالة للثقافة – الرياض– الأولى سنة ١٩٨٨م.
- الأمد على الأبد لأبي الحسن العامري صححه وقدم له { أورت .ك.روسن } الطبعة الأولى ١٩٧٩م بيروت دار الكندي.
- الفكر السياسي والأخلاقي عند العامري د.أحمد عبد الحليم عطية، طبع دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة ١٩٩١م.
- الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني طبع دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٤هـ.
- الفهرست لابن النديم طبع دار المعرفة بيروت سنة ١٩٧٨م.
- المقابسات لأبي حيان التوحيدي مطبعة الرحمانية – مصر – الأولى سنة ١٩٢٩م.
- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي تحقيق محمد حسن إسماعيل طبع دار الكتب العلمية بيروت سنة ٢٠٠٣م.
- المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي دار الكتب العلمية بيروت الأولى سنة ١٩٨٨م.
- بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد د.محمد يوسف موسى طبع دار المعارف – مصر– طبعة ثانية بدون.

- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد تحقيق د.محمد عمارة طبع دار المعارف – مصر– الثالثة.
- الأعلام لخير الدين الزركلي نشر دار العلم للملايين طبعة الخامسة عشرة سنة ٢٠٠٢م.
- تفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور طبع دار سحنون تونس ١٩٩٧م.
- تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي طبع دار إحياء التراث العربي.
- الكشاف للإمام الزمخشري طبع دار الكتاب العربي – بيروت– سنة ١٤٠٧هـ.
- الكتاب المقدس نشر جمعية الكتاب المقدس لبنان.
- الأسفار المقدسة د.علي عبد الواحد وافي طبع دار نهضة مصر الأولى سنة ١٩٦٤م.
- إظهار الحق رحمت الله الهندي طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م